

الفرق بين الشيعة والرافضة

لا شك أن هناك فرقاً شاسعاً ما بين لفظة شيعة و لفظة رافضة و لفظة إمامية أو إثني عشرية.

1- الشيعة في كتب المُحدثين:

جماعة من الناس كانوا مع علي خلافتهم مع الطرف الآخر سياسي بحت. و هم مراتب في قوة خلافتهم و حرارته مع مخالفيتهم. ليس عند واحد منهم انحراف عقدي أو فقهي. لكن قد يكون بينهم من له ملاحظات قوية على عثمان رضي الله عنه. وليس فيهم من يمس الشيخين أو منزلتهما المقدمة على الجميع. و"قد" يرى بعض أولئك أن خلاف أهل الشام معهم خلاف سياسي المراد منهم المنازعة على الحكم، ومعاوية بذلك باغ. لكنهم يقولون أنه لما استتب له الأمر و ذهب خصومه، أصبح خليفة عادلاً صاحب جيش و فتوحات هي في صحيفة حسناته. فالتشيع بهذا المعنى وصف و فير في كتب السنة لكثير من الناس، و لا يعتبر ذماً. و من التفريط نبذ هذا الوصف و تركه لغيرنا، فإنه وصف سني!

فشريك بن عبد الله القاضي كان معروفاً بالتشيع. مع ذلك قال: «إحمل (أي الحديث) عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث و يتخذونه ديناً». و الفرزدق (ت 611هـ) مثلاً كان يمدح أهل البيت كثيراً حتى أن عبد الملك سجنه مرة بسبب تحديه له في ذلك. و مع ذلك فهو يهجو السبئية، فيقول في قصيدة شهيرة له:

كأن على دير الجماجم منهم حصائد أو أعجاز نخل تَعَفَّرَا
تَعَرَّفُ همدانية سبئية وتكره عينها على ما تنكرا
رأته مع القتلى و غير بعلها عليها تراب في دم قد تَعَفَّرَا
أراحوه من رأس وعينين كانتا بعيدن طرفا بالخيانة أحزرا
من الناكثين العهد من سبئية و إما زييري من الذئب أغدرا
و لو أنهم إذ نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعذرا

2- الرافضة عند المحدثين:

هم قوم كانوا مثل الشيعة ثم زادو عليهم رفض الشيخين (أبي بكر و عمر) و كثير أو بعض الصحابة الأوائل أصحاب السابقة. و رفض الشيخين يعني: إما بغضهما، أو أردى منه: شتمهما، و اعتقاد أن علياً كان صاحب الخلافة و أنهما سلباه إياها. و في تكفيرهم خلاف و الجمهور (بما فيهم أبي حنيفة و مالك و أحمد) على كفرهم.

3- الشيعة اليوم:

تساوي الإثنا عشرية، أو الإمامية . و هؤلاء هم في الأصل رافضة أضافو لبدعتهم بدعاً كفرية مثل القول بعصمة الأئمة و تقديمهم على الأنبياء و المرسلين، و اتهام أم المؤمنين عائشة ، و تكفير أو تفسيق عامة الصحابة، و القول بالرجعة و البداء. و هؤلاء ينعقد الإجماع على كفر من قال بمعتقداتهم، بل إن بعض العلماء كفر من توقف في كفرهم. إذاً فتسمية الإثني عشرية اليوم بالرافضة هي تسمية غير دقيقة، لأن هذا الاسم لا يصفهم بكافة أوصافهم، و يدخل معهم غيرهم ممن لم يعتقد بعقائدهم الكفرية. و إنما أنه إلى ذلك لأن الشيعة المعاصرين يستغلون خلط عوام السنة في هذه الاصطلاحات، فيتخذونها ذريعة لدعوتهم للتشيع.

و مع ذلك فإن هذا الغلو في الرفض و التشيع بدأ منذ الأيام الأولى على يد ابن سبأ اليهودي. فلذلك كان علي بن أبي طالب يحذر الناس من هذا الفرقة التي تدعي حب أهل البيت زوراً، لتصل بالمسلمين للكفر و الإلحاد كما فعل بولص بالنصارى عندما أقنعهم بالوهية المسيح عيسى بن مريم. فيقول علي في خطاب له للخوارج: «و سَيَهْلِكُ فِيَّ

صَنَفَانِ: مُحِبٌّ مُفَرِّطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَ مَبْغُضٌ مُفَرِّطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبَغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ. وَ خَيْرُ النَّاسِ فِي حَالٍ، النَّمْتُ الْأَوْسَطُ فَالزُّمُّوهُ، وَ الزُّمُّ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَ الْفِرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّةَ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ»

و الثابت تاريخياً عن السنة و الشيعة أن الناس على زمنه كانوا ثلاثة فرق:

- 1- **أهل السنة و الجماعة:** و هم السَّوَادُ الْأَعْظَمُ و الوسط الذين أحبو علياً و لم يفرطو به.
- 2- **الشيعة:** و هم الفرقة الذين غلو في حب علي حتى ذهب بهم الحب إلى غير الحق.
- 3- **الخوارج:** و هم الفرقة الذين أبغضو علياً حتى ذهب بهم البغض إلى غير الحق.

فأثبت عليّ هلاك الفرقتين الشيعة و الخوارج، و دعى لالتزام منهج أهل السنة و الجماعة، و لالتزام السواد الأعظم من المسلمين.

و الذي أسس فرقة الشيعة الإمامية

هو عبد الله بن سبأ بن وهب (الحميري أو الهمداني) اليهودي المعروف بابن السوداء لأن أمه كانت عبدة حبشية سوداء، و كان لونه أسود أيضاً كان أسود اللون، و هو يهودي ماكر من أهل صنعاء. و كان بارعاً في تَقْمِصِ الشخصيات المختلفة و نسج المؤامرات بالخفاء، و قد أحاط نفسه بإطار من الغموض و السرية التامة حتى على معاصريه فهو لا يكاد يعرف له اسمٌ و لا بلد، لأنه لم يدخل في الإسلام إلا للكيد له، و حياكة المؤامرات و الفتن بين صفوف المسلمين. و يُجمع المؤرخون على أنه أول من دعى للرفض و الغلو بالتشيع و لعن الشيخين و القول بالرجعة بل بالوهية علي بن أبي طالب.

و قد اعترف بهذا كبار الشيعة و مؤرخوهم. فهذا هو الكشي يقول ذلك في كتابه "الرجال": «و ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، و والى علياً (ع). و كان يقول و هو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي مثل ذلك. و كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، و أظهر البراءة من أعدائه و كاشف مخالفه، و كفرهم. و من هنا قال من خالف الشيعة، إن التشيع، و الرفض، مأخوذ من اليهودية». و نقل المامقاني -إمام الجرح و التعديل- مثل هذا عن الكشي.

و يقول النوبختي الإمامي في كتابه "فرق الشيعة": «عبد الله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر، و عمر، و عثمان، و الصحابة، و تبرأ منهم، و قال إن علياً أمره بذلك. فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله. فصاح الناس إليه: "يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلاً يدعو إلى حكم، أهل البيت، و إلى ولايتكم، و البراءة من أعدائكم؟". فسيّره (علي) إلى المدائن (عاصمة فارس آنذاك). و حكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي، إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، و والى علياً. و كان يقول و هو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك. و هو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، و أظهر البراءة من أعدائه، و كاشف مخالفه. فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. و لما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: "كذبت. لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة، و أقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، و لم يقتل، و لا يموت حتى يملك الأرض".»

و ذكر مثل هذا مؤرخ شيعي: «أن عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفه (عثمان بن عفان) كثيرون هناك، فتظاهر بالعلم و التقوى، حتى افتتن الناس به. و بعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه و مسلكه. و منه، إن لكل نبي وصياً و خليفته، فوصي رسول الله و خليفته ليس إلا علياً المتحلي بالعلم، و الفتوى، و المترين بالكرم، و الشجاعة، و المتصف بالأمانة، و التقى. و قال: إن الأمة ظلمت علياً، و غصبت حقه، حق الخلافة و الولاية، و يلزم الآن على الجميع مناصرته و معاضدته، و خلع طاعة عثمان و بيعته، فتأثر كثير من المصريين بأقواله و آرائه، و خرجوا على الخليفة عثمان».»

و خبر إحراق علي بن أبي طالب لطائفة السبئية، ثابتٌ عن السنة و الشيعة، تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح و السنن. لكن تعددت الروايات في ذكر مصير عبد الله بن سبأ، هل أحرق مع أصحابه؟ أم أنه نفي مع من نفي إلى سباط في المدائن؟

أقول:

الراجح - والله أعلم- أنه نُفي إلى سباط. ذلك أنه توجد روايات تذكر أن ابن سبأ لم يظهر القول علناً بألوهية علي إلا بعد وفاته، وهذا يؤيد الروايات التي تذكر أنه نفاه إلى المدائن حينما علم ببعض أقواله وغلوه فيه. وقال الإمام الشعبي للإمام مالك يصف الرافضة السبئية: «لم يدخلو في الإسلام رغبة فيه لله ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً من الله عليهم و بغياً منهم على أهل الإسلام. يريدون أن يغمصو دين الإسلام كما غمص بولس بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية. ولا تجاوز صلاتهم آذانهم. قد حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ونفاهم من البلاد. منهم عبد الله بن سبأ، يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى سباط. وأبو بكر الكروس، نفاه إلى الجابية. و حرق منهم قوماً أتوه فقالوا أنت هو. فقال من أنا؟ فقالوا أنت ربنا! فأمر بنار فأججت فألقوا فيها. وفيهم قال علي: لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً»

و ذكر البغدادي أن: «السبئية أظهرو بدعتهم في زمان علي، فأحرق قوماً منهم، ونفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، إذ نفاه ابن عباس t عن قتله حينما بلغه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا تختلف عليه أصحابه، لا سيما وهو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام»

و كان علي يجاهر بلعنه و شتمه و يفضح أمره أمام الناس. و كان ابن سبأ يدعي أن الرسول قد أوصى قبل مماته لعلي بن أبي طالب من بعده. و كان علي ينكر ذلك جهارة، فيصرّ ابن سبأ على ادعائه! و عن أبي الجلاس قال: سمعت علياً يقول لعبد الله السبئي: «ويلك، ما أقضى إلي رسول الله بشيء كتمته أحداً من الناس. ولقد سمعته يقول "إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً"، وإنك أحدهم». و قال علي: «ليحبنى قوم حتى يدخلو النار في، وليبغضني قوم حتى يدخلو النار في بغضي». و قال أيضاً من على المنبر: «اللهم العن كل مبغض لنا غال، و كل محب لنا غال»

و قد يتسائل سائل لماذا لم يحرق علي ابن سبأ، أو حتى لم يعاقبه بحبسه، و اكتفى بنفيه، مع عظم دعواه و شناعة رأيه فيه، حيث تركه يعيش في الأرض فساداً و يدعو إلى ألوهيته أو نبوته أو وصايته أو التبرؤ من أصحاب الرسول، ثم يكتفي بنفيه فقط إلى عاصمة الفرس المدائن، و هو يعلم أنه باق على غلوه، وأنه سيفسد كل مكان سيصل إليه؟! و لعل الجواب :

أن علي تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده، لأن ابن سبأ كان يرمي بشبهه من خلف ستار. و خاف إن قتله أن يثور أتباعه عليه، و هم يشكلون جزءاً كبيراً من جيشه. و لعل ابن سبأ لم يجاهر بكفره و أفكاره الباطنية إلا بعد موت علي، إذ قال لمن أوصل له خبر نعيه: «لو أتيتنا بدماغه في سبعين صرة ما صدقناك، و لعلمنا أنه لم يمت، و إنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه».

ذكر الصفدي في ترجمة ابن سبأ: «ابن سبأ رأس الطائفة السبئية...، قال لعلي أنت الإله، فنفاه إلى المدائن. فلما قُتل علي، زعم ابن سبأ أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً و أن ابن ملجم قتل شيطاناً تصوّر بصورة علي، و أن علياً في السحاب، و الرعد صوته و البرق سوطه، و أنه سينزل إلى الأرض». و رغم تفاهة هذه الدعوى، إلا أنها وجدت مؤيدين و مناصرين ممن وصفهم الله تعالى بقوله: (أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون).

و لا نعلم متى قُتل ابن سبأ هذا، إذ اختفى تماماً بعد مقتله تلك. و لم نسمع عن جماعته السبئية حتى أيام فتنة ابن الزبير عندما خرج المختار و تبنى أفكار تلك الطائفة، ثم قتله مصعب بن الزبير مع سبعة آلاف من أنصاره. و الغريب أننا لم نسمع بإبن سبأ هذا أثناء خروج المختار، فلعله قُتل قبل ذلك. و هذا الذي ذكرت لا يعني أنه لم يقتل بيد غيره، لأننا نعلم بأن جميع من شارك أو أعان في قتل عثمان قد قتل، و إن الله عز وجل لم يهمل الظالمين، بل أذلهم و أخزاهم و انتقم منهم فلم ينج منهم أحد. و أخرج أحمد بإسناد صحيح عن عَمْرٍة بنت أَرْطاة العدوية قالت: «خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة، فمررنا بالمدينة و رأينا المصحف الذي قتل و هو في حجره، فكانت أول قطرة من دمه على هذه الآية (فسيفكفهم الله و هو السميع العليم)، فما مات منهم رجل سوياً» و قال الحسن البصري: «ما علمت أحداً أشرك في دم عثمان و لا أعان عليه إلا قُتلته»

و على أية حال فإن وجوده في المدائن -عاصمة الفرس السابقة- يجعلنا نتيقن أن الغالبية العظمى من أنصاره، هم من الفرس المجوس الناقمين على الإسلام الذي قوض دولتهم. و بعد الحدث الأليم الذي أودى بحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، راح المجوس يدفعون أنصار علي لقتال بني أمية كما مر معنا، خاصة في صفوف المختار. و وجدت الدعوات الباطنية فراغاً فأخذت تنشط حتى أستفحل أمرها.

و لذلك كان أروع ما وصف به التشيع أنه «بذرة نصرانية، غرستها اليهودية، في أرض مجوسية.» و يؤيد هذا ما رواه

الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: «دعاني رسول، فقال "إن فيك من عيسى مثلاً: أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به". ألا وإنه يهلك في اثنتان: محب يقرظني بما ليس في، ومبغض يحملة شنائي على أن يبهتي. ألا إني لست بنبي ولا يوحي إلي، ولكنني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت. فما أمرتكم من طاعة الله، فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتكم»

وقد وجدت أفكار ابن سبأ أرضاً خصبة عند المجوس (وهم حلفاء اليهود عبر التاريخ). إذ أن الزعامة الدينية عند المجوس الفرس، كانت تتمثل في قبيلة تسمى «ميديا». وفي عصر زاردشت أصبحت في قبيلة «المغان». ورجال قبيلة «المغان» هم ظل الله في الأرض، وقد خلقوا لخدمة الآلهة. والحاكم يجب أن يكون من هذه القبيلة، وتتجسد فيه الذات الإلهية، وتتولى القبيلة شرف سدانة بيت النار. فعبادة الله عن طريق القبيلة (المقدسة) هو الذي دفع الفرس إلى التشيع لآل البيت، لا حباً لآل البيت، ولكنهم وجدوا أن هذه هي الطريقة المضمونة لكي يثبت سمومهم من خلالها في بلاد المسلمين، كما أن هذا التصور يلائم عقيدة المجوس.

ونجد أيضاً تشابهاً كبيراً بين التقية عند الشيعة (أو ما يسمى بالدين الخفي عند الباطنية)، وبين السرية التي هي أصل من أصول عقائد المجوس. فالزردشتيون استمرو يعملون وينشطون بكل سرية بعد أن تعرضوا للاضطهاد على أيدي أتباع مزدك. والمانوية تحولت إلى حركة سرية بعد أن بطش بهرام بن هرمز بهم والمزدكية أصبحت دعوة سرية بعد أن نكل بهم أنوشروان. ومع السرية، كانت أديان الفرس منظمة تنظيمياً هرمياً دقيقاً يراعون به ظروف العصر. وكانت تنظيماتهم من القوة بحيث تمكنهم من الوصول إلى قصور الحكام في حالات ضعفهم. أما في غير حالات الضعف فالحكام من أفراد القبيلة التي ترعى شؤون الدين.

وقد أخذ الشيعة أيضاً الإباحية الجنسية والمتعة واستعارة الفروج واللواط والمخدرات وغير ذلك من الأمور المستشنة من مذهب مزدك المؤيد المجوسي. وهو مذهب كان منتشراً في بلاد الفرس وأثر كثيراً في ثقافتهم. وحتى لا يتهمنا أحد بالمبالغة،

فإليك معتقدات الشيعة في المتعة مع التوثيق من أهم مراجع الشيعة المعاصرين:

- 1 - الإيمان بالمتعة أصلاً من أصول الدين، ومنكرها منكر للدين
- 2 - المتعة من فضائل الدين وتطفى غضب الرب
- 3 - المتمتعة من النساء مغفور لها.
- 4 - المتعة من اعظم أسباب دخول الجنة، بل إنها توصلهم إلى درجة تجعلهم يزاحمون الأنبياء مراتبهم في الجنة
- 5 - حذرو من أعرض عن التمتع، من نقصان ثوابه يوم القيامة، فقالوا «من خرج من الدنيا ولم يتمتع، جاء يوم القيامة وهو أجذع (أي مقطوع العضو)».
- 6 - ليس هناك حد لعدد النساء المتمتع بهن. فيجوز للرجل أن يتمتع بمن شاء من النساء ولو ألف امرأة أو أكثر
- 7 - جواز التمتع بالبكر ولو من غير إذن وليها، ولو من غير شهود أيضاً.
- 8 - جواز التمتع بالبت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم، حتى الرضعية
- 9 - امرأة المتعة لا تراث ولا ثورث.
- 10 - يرون جواز التمتع بالعااهرة المشهورة بالزنا.
- 11 - يرون أيضاً جواز إعارة الرجل جاريته لصديقه ليقضي وطره منها! ويسمون ذلك (إعارة الفروج).

وكذلك نلاحظ أن تاريخ المجوس ممتلئ بالشغب والثورات والتآمر. وفي هذه الفتن يقتل الأخ أخاه، والابن أباه، دون رحمة أو شفقة. وعندما يشعر الملوك بالخطر كانوا ينقضون على الأنبياء المزعومين فيقتلونهم، فبهرام قتل ماني، وكسرى قتل مزدك. ومن هذه النقطة نعلم سبب إثارة الشيعة للفتن والقلاقل، ومدى عشقهم للدماء، فإنما ذلك ميراث ورثوه من المجوس. كما نعلم لماذا كانوا وما زالوا يصفون خصومهم عن طريق الاغتيالات. والله المستعان ونسأل الله أن يطهر الأرض منهم أنه نعم المولى ونعم النصير.

كاتب المقالة : الشيخ/محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 25/10/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com